(بكيد إمرىء قط لم يتق) فقد ذكرنى بشطر ابن جنى . (قط لا يدفع عن سبق عراب) عوض قول المتنبي . (غير مدفوع من السبق العراب) . ألا قاتل الله مواقف يتلب فيها رصف النحو ملكة الذوق .

وقال

فياليته امتد هـــذا الرقاد وظلت بآفاقه حالمة

فقد جعل للبيت اسماً هو (الهاه) وجعل لها اسماً آخر بدلا منه هو (هذا) وهو شبيه بلغة (أكلونى البراغيث) . وآفاق الرقاد ليس مما يستسيغه الذوق، وليس كل استعارة سائغة .

وقال الأستاذ فى البيت الأخير :—

وبادر عـدوك فى وكره وإلا ارتقب يومك الأغبرا

فقد شبه العـدو بالطير على سبيل الاستعارة المكنية بدلالة قوله (وكره) والعدو لا يشبه بالطير، وليس فى القصيدة ما يدل على أنه يقصد الجوارح من الطيور. والتشبيه هذا فيه توهين للهمم من حيث لا يقصد الشاعر . فما دام الشاعر يريد أن يشحذ من همة الشعب المتحفز ، فينبغى أن يكشف عن قوة العدو ومكره .

وبعد فالقصيدة — على كل هذه الهنات اليسيرة رائعة الطلعة كريمة الهدف والعاطفة ، فياشة بالشعور الحى، والاستاذ الشاعر إعجابى بشعوره وصرخته الحارة .

الحلة. (العراق)

أحمد حسن الزعبى
ليسانس بالأدب العربى

من الأدب الإنسانى الإنكليزى

والـــــدان

بقلم الأديب محمد يحيي ابراهيم الرويدى

كان الوجوم مخيماً على البيت الكبير وكل مافيه ينطق بالأسى وقد انبعث من احدى الغرف نشيج خافت .

وكانت أضواء القاعة الباهية تلقى بصيصها على نفر قليل من الناس نزلت دموع بعضهم على الوجنات وأخذ بعضهم يتمتم بعبارات تفيض باليأس والقنوط فقد حركت فيهم المصيبة كامن الشجن كما تفعل دقات أجراس الموت الحزينة فى النفوس الحساسة.

وفى إحدى طوابق البيت كان السكون كأبلغ ما يكون فلا حس ولا حركة كبحر إنقلبت مياهه الواحاً من الجليد .

وهناك فى غرفة صغيرة أضطجعت على فراشها تلفظ ببطء أنفاسها الأخيرة ، طفلة رائعة الملاحة ، ابيض وجهها حتى أضحى أشد نصوعاً من الكفن الذى كان فى انتظارها ، ليغيبها فى لفائفه ، وبقرب الفراش أنحنى والداها يغمران بقبلاتهما وجهها الجميل ، وفى الجهة الأخرى من السرير وقف الطبيب صامتاً واجماً بعد أن عجز الطب عن إنقاذ هذه الحياة الصغيرة ، وفى وجهة تعابير حزينة أشد بلاغة من الدموع ، وبجانبه وقف القس ممسكا بإنجيله يتلو فقرات منه بصوت خفيض .

وأخيراً لفظت الطفلة آخر أنفاسها وأصبح ذلك الجسد الذى كان ينبض بالحياة كقطعة جامدة من الرخام ، وليس فيه من دلائل الحيوية الماضية سوى تلك البسمة البريئة التى لم يقو الموت على انتزاعها من الشفتين الرقيقتين . وأطبق القس كتابه وأحنى رأسه الكال بشعره الرمادى ووقف يرقب خاشعاً ما تخطه يد الموت على الجبهة الصغيرة .

أما الوالدان فقد شخصت أبصارهما فى ذهول ، فقبل دقائق قليلة كان أملهما معلقاً فى ارتعاشة الشفتين وأضطراب الصدر الصغير. أما الآن فقد انهدم كل شىء، ماتت ! نعم ماتت وتركت عالما يضج بالحركة والحياة ، كانت المصيبة فوق العزاء ، حتى هذه العبارات التى تفيض سلاماً والتى عاد القس الى تلاوتها بصوته الهادى العميق لم تكن قادرة على أن تهب عاود قلبيهما سلاماً وتعزية فانكفأ الأثنان على وجهيهما وراحا فى اغماءة ، دون أن تمتد إليهما يد تحاول رفعهما؛ إذ أن الأصدقاء أنسحبوا من الدار وتركوا الوالدين إلى رحمة الرب الرحيم ، ولبث الوالدان هكذا ساعة وبعض الساعة وازدادت وطأة الصمت على البيت الكبير بعد أن مضى الناس كل إلى شأنه ، وجلس الخدم يذرفون دموعهم فى صمت ، إلا تلك

المرضة التي دفعها شعور خفي إلى دفع باب غرفة المتوفاة لترى منظراً عقد لسانها وأدهش عقلها ... الأم على فراش الطفلة وقد أحاطت بمناها الجسد الصغير الهامد وألفت برأسها على الوسادة ونامت هي الأخرى ، ولكن ... إلى الأبد !

اما الوالد فلم يكن في الغرفة ، إذ أنطلق هارباً ، تاركاً البيت إلى حيث أخذ يسير بحركة لا شعورية وقد ألجم الحزن لسانه وجمد دموعه تتجمد في مآقيها ، وأنزل على ذاكرته ستاراً من النسيان. كان يمشي مسيراً لا مخيراً كأن هنالك قوة خفية تدفعه نحو جبانة القرية

وهناك وقف جامداً كالصخر والمكان حوله يبعث على الرهبة: الكنيسة القديمة الملتفة بأرديتها الموحشة، والسماء الموشحة بالغيوم وأشعة القمر تحاول أن تستوق فرجة تطل منها على الكون العظيم، وبجانبه تناثرت النصب والقبور ... هنا مدينة الأموات ، وهناك دنيا الأحياء وهو بينهما، حائر ضائع محطم !

وألقى الرجل نظرة ذاهلة على القبور المتناثرة ، ثم سار وجلس على قبر أخضر من الطحالب التي نمت عليه ممتصة عناصر الأجيال، ونظر إلى السماء طويلاً ، ثم شعر بالدموع تسيل على وجنتيه في خطين عزيزين وبدأت سحب النسيان تنجاب عن ذاكرته رويداً رويداً وانتقلت به الذكرى المريرة القاسية إلى « إيميلي » وحيدته المسجاة ... وهناك في المقبرة الصامتة الموحشة أنبعث صوت تائر يخاطب الأشباح .

وارتفعت قبضته تهدد السماء : لم فعلت ذلك يارب ؟ ولم تدعوك رحيماً ما دمت تسترد ما تهب ولا تخلف لنا سوى اللوعة ؟ أتبغي لتترنم على معاول الهدم ؟ أتزرع لتنعم بالحصاد وحدك ؟ أترضى لذلك الجسد الغض بالثواء تحت أحد هذه الأحجار الثقيلة ؟ آه يا لقسوتك أيتها السماء. . وازداد الأسى بالرجل وأخذ يصيح ويزأر كالوحش الجريح .

وفي تلك اللحظة تحرك في المقبرة شبح أسود ، أخذ يسير بخطى خفيفة فالتفت الرجل ليرى نفسه قبالته ، فأخذه الفزع وكف عن صراخه ووقف على قدميه منصتاً وتفذت أشعة القمر في تلك اللحظة وألقت شعاعاً باهتاً على القادم الغريب ، فأجفل الرجل إذا لم يكن القادم سوى القس ... القس الذي صلى على فتاته الصلاة الأخيرة .

ورجم الأب ونظر بغرابة إلى القس الذي عقد يديه على صدره، وبشفتين مرتجفتين وصوت رجراج أخذ يقول : كفاك تجديفاً يارجل! فالله كفيل بأن يهب نفسك الثائرة القلقة أمناً وسلاما » فهو إذ يضرب بيمينه بحكم ما ، تمتد يسراه فتمسح ما ينز من جراحاتنا ، وما أحراك بأن تكون رجلاً فتنسى أحزانك وتتغلب عليها وتدفنها تحت قبر من هذه القبور .

ووضع القس يده في يد الرجل قائلاً . إركع وأتل معي ما تحفظ من صلوات ... وركع الرجل الذي ينناسى ربه في غمرة الأحزان والرجل الذي يزداد التصاقاً به كلما هبت في وجهه أعاصير الحياة ؛ الثاني يردد صلاته ، والأول يبلل بدموعه صفحة القبر الشاحب .

وأرتفع صوت القس فجأه قائلاً : صل، صل، أنت الآخر من أجلي ،فأنا الآخر قد فقدت عزيزاً . كنت أتلو في مسامع ابنتك صلاتها الأخيرة بينما كانت إبنتي تموت في بطء ... وحيدة ؛ كنت مضطراً إلى تركها ما دام واجبي يدعوني ، ولم أشأ أن أحرم فتاتك هذه التغريد ، فخرمتني الأقدار وحيدتي «لوسي» ، لوسي التي كنت أستيقظ على صوت ضحكاتها الرنانة ، وأخشع وهي تتلو لي فصولا من كتابها المقدس الصغير ، وابتسم وهي تروي على مسامعي أقاصيصها الساذجة ، كنت أودها تعيش وتطبق بيدها عيني بعد وفاتي ، فشاءت الأقدار أن أتولى أنا هذه المهمة التي قمت بها لأمها من قبلها .

ونظر الرجل إلى القس معزياً ولم يجد ما يقوله فسالت الدموع، أبلغ من كل كلام ؛ ولكنه شعر للظى يخف في أعماقه ،وبالأسى يتسرب شيئاً فشيئاً من نفسه بعد أن شاهد أمامه زوجته المتوفاة وبجانبه ملاكه الصغيرة ؛ ثم رفع بصره إلى السماء، فشعر بالتعزية تنبثق منها. ونهض القس من ركوعه وقطع بصوته الأجش حبل أفكار الرجل قائلا : غداً ستخرج جنازة واحدة تجمع ثلاثة، فإذا كنت تملك بقية من دموع فاذرفها الآن ... هنا على هذا الأديم؛ أما أنا ... فلا أملك سوى استسلامي والآن وداعاً ...

وافترق الرجلان .. ابتلعتهما الظلمة وسار كل في طريقه ... الرجل إلى بيته الصامت الحزين ، والقس إلى كوخه المنعزل في أحضان الوادي الهاجع .

القدس

محمد يحيى ابراهيم الرويدي